نظام العزابة وآلياتها في ضبط الجماعة الإباضية بمزاب

The "Azzaba" system and its mechanisms in controlling community Ibadite in M’zab

Le système « Azzaba » et ses mécanismes de contrôle de la communauté Ibadite à M’zab

بسيس نصرالدين*[1]، رميتة أحمد[2]

تاريخ الإرسال: 2020/10/03 تاريخ القبول: 2022/02/04 تاريخ النشر: 2022/12/02

ملخص:

نظام "العزابة" في "مزاب"، نظام اجتماعي أثبت قدرته في ضبط الجماعة الإباضية قرابة ألف عام. نظام جدير بالبحث عن سرّ بقاءه وفعاليته. سنحاول في هذه الورقة البحثيّة أن نكشف الأسس القاعدية التّي يتشكّل منها هذا النّظام؛ وكيف أسّست منظومة القيم للعقيدة الإباضية قواعده ليستجيب لوضع إباضية شمال إفريقيا المضطّرب؟

ابتدأت خطتنا المنهجيّة بمعرفة سبب ابتكار نظام العزابة ليكون بديلا عن "إمامة الكتمان"، ولماذا اختار منطقة مزابَ كمأمن يلجؤون إليه رغم قساوة طبيعتها، وما الذي مكّنَه من أَنْ يكون المرجعية السّلطوية فيه بوجود سلطة "العوام" القبلية؛ ولكون المجتمع المزابي يقوم على قاعدة دينية فقد حاولنا تسليط الضوء على العقيدة الاباضية، حيث تحليل مبادئها سيكشف عن منظومة القيم الأساسية التّي اعتمدها نظام العزابة في تسيير شؤون المجتمع المزابي، وضبط علاقاته الدّاخلية والخارجية بما يحفظ للجماعة المزابية تماسكها وتضامنها مهما كانت حالتها، وأخيرا عرض التحدّيات التّي تواجه نظام العزابة في الدّولة الوطنية وانعكاسات ذلك على السّياسة المحلية، وردود أفعال المزابيين حيال هذه الانعكاسات.

الكلمات المفتاحية: نظام العزابة، العقيدة الإباضية، المنظومة القيمية، مزاب، سلطة

Abstract :

The "Azzaba" system in "M’zab" is a social system that has proved its ability to control the the Ibadite community for nearly a thousand years. It is worth investigating the survival and effectiveness of this system. In this research paper، we seek to uncover the basic foundations that make up this system، why did the Azzaba system choose M’zab as a safety zone، even though it is a difficult area to live in، and what enabled this system to be the authoritarian reference in "M’zab" with the existence of the "Awam" tribal authority. Considering that M’zab society is based on religious grounds، we try to shed light on the Ibadite doctrine so that the analysis of its principles will reveal the system of the fundamental values adopted by the "Azzaba" system in running the Mozabite society، and controlling of its internal and external relations in a manner that preserves cohesion and solidarity in all circumstances and situations. Finally، the paper presents the challenges facing the "Azzaba" system in the national state and their implications on local politics، and the reactions of the Mozabites towards these repercussions.

Keywords: "Azzaba" system; Ibadite doctrine; Value System; M’zab; Authority.

*المؤلف المراسل

[1] . Nasreddine BECIS; University of Algiers 2 Abou El Kacem Sâadallah; Alger; nasreddinebecis@gmail.com

[2]. Ahmed REMITA; University of Algiers 2 Abou El Kacem Sâadallah; Alger; Ah_remita@yahoo.fr

Résumé :

Le système « Azzaba » de « M'zab » est un système social qui a prouvé sa capacité à contrôler la communauté Ibadite depuis près de mille ans. Il vaut la peine d'étudier la survie et l'efficacité de ce système. Dans cet article de recherche, nous cherchons à découvrir les fondements fondamentaux qui composent ce système, pourquoi le système Azzaba a-t-il choisi M'zab comme zone de sécurité, même si c'est une zone difficile à vivre, et ce qui a permis à ce système d'être la référence autoritaire dans « M'zab » avec l'existence de l'autorité tribale « Awam ». Considérant que la société M'zab est fondée sur des motifs religieux, nous essayons de faire la lumière sur la doctrine Ibadite afin que l'analyse de ses principes révèle le système des valeurs fondamentales adoptées par le système « azzaba » dans la gestion de la société Mozabite, et le contrôle de ses relations internes et externes d'une manière qui préserve la cohésion et la solidarité dans toutes les circonstances et situations. Enfin, le document présente les défis auxquels est confronté le système « azzaba » dans l'État national et leurs implications sur la politique locale, et les réactions des Mozabites face à ces répercussions.

Mots clés : « Azzaba » système; doctrine Ibadite; Système de valeurs; M'zab Autorité.

مقدمة

استقرار المجتمعات الإنسانية يكمن في متانة الأنظمة التي تسيّر علاقاتها الاجتماعية، واستمرار هذه المجتمعات مرهون بمدى مرونة أنظمتها في التّعامل مع مستجدات محيطها الخارجي، هذا ما تأكّده الدراسات الاجتماعية والإنسانية (حسن، 2003، ص303) التّي تعمل على فهم منظومة القيم الّتي تضبط العلاقات الاجتماعية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتتبّع التّغيرات الدّاخلية التي تطرأ عليها من حين لآخر بفعل تفاعلاتها مع محيطها الخارجي، لذا لفهم وضعية هذه التنظيمات والتنبّؤ بمآلاتها المستقبلية من الضروري تسليط الضوء عليها بالدراسة والتحليل. (كعباش، 2006، ص16).

والدّارس للمراحل التّاريخية التّي مرّت بها المجتمعات المحلية في الجزائر منذ أن بدأت شعوب وحضارات تتعاقب عليها استعمارا أو لأغراض أخرى يجد أنها قد غيّرت كثيرا من بنائها الاجتماعي وخصائصها الثّقافية، كما ساهمت الدّولة الوطنية بعد الاستقلال على تفكيك وخلخلة البناء الاجتماعي التّقليدي تدريجيا عند محاولتها إدماج المجتمع القبلي في المجتمع الوطني عبر عمليات إعادة بناء الدّولة وتبنّي نظم التّحديث والتّنمية التّي اتخذت أشكالا سياسيّة واجتماعية واقتصادية (بو طالب، 2002، ص24)، وأدى إنتشار العولمة إلى تعميق هذه التغيّرات والتّحولات بفضل التّقانة الحديثة ووسائل الاتصال والتّواصل، فأصبح من الّصعب الآن أن نتلمّس بشكل واضح للخصائص والسّمات الثّقافية الأساسية التّي كانت تميّز المجتمات المحلية في الجزائر نتيجة تمازج وتداخل بين ثقافاتها الأصيلة والثقافات الوافدة إليها.

وفي خضم هذه التحوّلات الكبرى يُلاحظ أن المجتمع المزابي الذّي يشكّل جزءا من المجتمع الجزائري شكّل استثناء، حيث سلم من هذه التّغييرات العميقة لكونه يملك نظاما متكاملا من حيث التّسيير ومنظومة قيم مترابطة، ومعتمدا على المركزية في تسيير شؤون المجتمع الدّاخلية والخارجية من أجل تحقيق نفس الهدف (Solieman, 1988, p. 14)

وقد اتّفقت الدّراسات المهتمّة بالمجتمع المزابي أن نظام العزابة يرجع إليه الفضل في تماسك المجتمع، وقد صنعت له ظروفا تاريخية وواقعية خاصة به (مفدي، 2010، ص48) تعمل على أن تبقيه وحدة متضامنة ومستعصية من الذوبان في الآخر، كما لم تذكر هذه الدّراسات انقطاع دور العزابة في تسيير المجتمع منذ تأسيسها قرابة ألف عام، رغم فترات ضعف مرّ بها التنظيم في بعض مراحله التاريخية، لذا بات من الضروري تسليط الضوء عليه من خلال الإجابة على التساؤل الآتي:

من أين يستمدّ نظام العزابة منظومته القيمية التّي يرتكز عليها في تسيير شؤون المجتمع المزابي؟

وضمن هذا الإشكال الرئيسي تتفرع إشكالات مهمة، منها:

كيف استطاعت حلقة العزابة أن تضبط سلطتها مع سلطة "هيئة العوام" في مزاب؟

ما هي انعكاسات العقيدة المذهبية في ضبط الجماعة المزابية؟

ما هي التحدّيات التّي يواجهها نظام العزابة في تسيير شؤون المجتمع المزابي؟

في هذه الورقة البحثيّة التّي نهدف من خلالها معرفة العلاقة بين العقيدة الإباضية وتنظيم العزابة، حيث شكلت الأخيرة الوجه السّياسي للمذهب الإباضي، وكيف تمكّن نظام العزابة أن يبقى فاعلا في الحياة الاجتماعية بمزاب لأكثر من عشرة قرون رغم التّحديات التّي مرّ بها في مساره التاريخي، وابتدأت منهجيتنا بمعرفة دواعي تأسيس نظام العزابة، ولماذا اختار منطقة مزاب كملجأ للّإباضية، ثمّ معرفة تداعيات ذلك على المنطقة حين استطاع أن يكون في قمة هرم السّلطة بمزاب على الرّغم من وجود سلطة قبلية قائمة وفاعلة، ولكي تضمن الجماعة الإباضية بمزاب تماسكها ووحدتها فقد أمدّت العقيدةُ الإباضية نظامَ العزابة مبادئَ وقواعدَ ضابطة لحركته الدّاخلية والخارجية، حيث في عرضنا لهذه المبادئ سنفهم كيف ساهمت في أرساء قواعد نظام العزابة من جهة، ومن جهة أخرى كيف ضبطت أعضاء الجماعة الإباضية، وفي الأخير ننظر كيف شكّل وجود نظام العزّابة ضمن الدّولة الوطنية سابقة تاريخية مما أفرز له تداعيات جديدة لم يعهدها، فكيف كانت ردود فعل المزابيين تجاه هذه التّداعيات؟ وكيف ستسعفه العقيدة الإباضية من جديد ؟

01- نظام العزابة من الفكرة إلى التّجسيد

سنعرض في هذا المبحث دواعي تأسيس حلقة العزابة، وكيف اختارت منطقة مزاب كمأمن يلجأ إليه الإباضية، وتداعيات ذلك على المنطقة.

1-1 لماذا العزابة في مزاب؟

تعدّ الإمامة[1] (جهلان، 1992، ص127) أحد مرتكزات العقيدة عند الإباضية، وإقامتها عندهم أمر واجب[2] (كوبرلي، 2010، ص405)، إذ يرون أنّه لا تستقيم أمور المسلمين إلّا بتعيين سلطان يتولّى أمرهم وينفّذ حكم الله بالعدل بين النّاس (جهلان، 1992، ص61)، وتندرج الإمامة ضمن الأصول التّسعة في باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، واستنادا لجملة من التّعاليم والمبادئ يحدّد الإباضية مواقفهم السّياسية، سواء المهتمة بالشؤون الدّاخلية للتجمّع الإباضي، أو المتعلقة بعلاقاتهم الخارجية مع الدّول الأخرى أو تكتلات مخالفيهم (جهلان، 1992، ص194)؛ وبناء على هذا المرتكز العقدي لجأ الإباضية المضطهدين بعد سقوط الدّولة الرّستمية بتيهرت في 296هـ /909م[3] (بحاز، 1985، ص85) إلى إمامة الكتمان[4] (مجموعة من المؤلفين، معجم مصطلحات – (ص – ش)، 2011، ص905) بعد أن فشلت محاولاتهم في استرجاع إمامة الظّهور[5] (معمر، الإباضية بين الفرق، 2003، ص371)، وبقوا على هذا الوضع لأزيد من قرن، ما جعلهم عرضة للإضهاد والملاحقة، فرأى شيوخهم ضرورة التّفكير في تنظيم جديد يجمع شملهم ويحفظ كيانهم ويقيهم شرّ أعدائهم[6]، فطلب "فصيل بن أبي مسور[7]"(مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام – المغرب، 2000، ترجمة رقم 734، ص339) ذلك من "أبي عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي[8] (مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام – المغرب، 2000، ص368) ، فرفض أوّل الأمر (اسماوي، العزابة 01، 2008، ص351)[9]، ثمّ لبّى الطّلب بعد إلحاح منه، وحين استقرّ "الفرسطائي" مع تلاميذه في مدينة "تينسلي"[10] وضع نظامَ حلقته العلمية[11] ليتفرغ لتعليمهم فنون الشّرع والأدب والأخلاق، ويدربهم على صنوف العيش، واتخذ من الصّحراء مقرّا لحلقته وفرارا من الملاحقة، كذلك لتفقّد أحوال الإباضية المشتّتين، ولما استكمل "الفرسطائي" إرساء قواعد التنظيم وآدابه وشروطه انتقل به إلى مزاب[12] بعد سنة 409هـ/ 1019م (ناصر ب.، 2018، ص56)، وقد اختار هذه المنطقة لضمان الأمن والمنعة بين أهلها (الصبيحي، 2018، ص190)، إذ كانت له معرفة مسبقة بها لوجود روابط قديمة بين مزاب وإباضية وارجلان وواد ريغ، وبذلك دخل نظام حلقة العزابة إلى المنطقة واندمج في نظمه العرفية، وما يزال مفعولها ساريا إلى اليوم (جهلان، 1992، ص169).

لكن باعتبار أن إمامة الكتمان تنظيم قائم وشرعي فلماذا فكّر علماؤهم في تنظيم آخر؟ فلربّما هذا ما يفسّر سبب رفض " الفرسطائي" أوّل الأمر وضع تنظيم جديد كونه خروجا عن وحدة الجماعة الإباضية، والتزام أمرها واجب شرعا؛ وهل سيكون هذا التنظيم (العزابة) بديلا لتنظيم الكتمان؟ أم تكييفا له مع واقع إباضية المضطرب؟ وأين سيكون موقعه عندما يتقابل مع السّلطة القائمة في مزاب؟

2-1 ما مصير سلطة العوام بدخول سلطة العزابة مزاب؟

يمثل تنظيم" مجلس العوام"[13] (مجموعة من المؤلفين، معجم المصطلحات (ص – ي)، 2011، ص746) الأنموذج القبلي في مزاب (بو طالب، 2002، ص77)، وأساس الفاعلية في ضبط الحياة داخل المجتمع، ولكن شهد مزاب تطورات كبيرة في نظمه وأنساقه، والذي رافق مراحل تشكّل قصوره[14] (الحاج سعيد، 2014، ص16) إثر تحوّل المزابيين من الفكر الاعتزالي إلى المذهب الإباضي[15] (مطياز، ب.ت) بفضل جهود الدّاعية الإباضي "الفرسطائي" وحلقته العلمية (ناصر ب.، 2018، ص55)؛ وقد ساهمت حلقة العزابة لفعالية نشاطها في تسيير شؤون المجتمع تدريجيا، وإعادة تشكيلٍ لنظامه السّياسي، حيث تشكّل في كلّ مدينة من مدن مزاب مجلس "جماعة المدينة" (ناصر ب.، 2018، ص39) يضمّ ممثّلين من مجلسي العوام والعزابة، يتولّى مختلف شؤون القصر، ويُعتبر هذا التّنظيم المخوّل الوحيد لممارسة السّلطة[16] وسنّ التشريعات والقوانين (ناصر ب.، 2018، ص35)، كما أن قرارته ملزمة (لواتي، 2016، ص02) وتصدر باتفاق المجلسين، حيث يأتي في مقدمة نصوصها: "اتّفق عزّابة وعوام واد مزاب أو طلبة وعوام"(ناصر ب.، 2018، ص74)، غير أنه رافق في تشكيل كلّ من مجلسي العزابة والعوام صراعات وخلافات حول التّمثيل في أحد المجلسين أو تنافس على قيادتها، وحال حدوث ذلك وجب على كلّ منهما أن يسوّي الأمر داخليا[17] (ناصر ب.، 2018، ص75) ، وإلاّ فإن "مجلس واد مزاب"[18] يتدخّل لتسوية الخلاف وفق الإجراءات المتفق عليها في أعراف واد مزاب. (ناصر ب.، 2018، ص77)

أمّا "بالنّسبة للخلاف بين الهيئتين فلم يرد فيما توفّر من وثائق أنّ أيَّ نزاع نتج عن الخلاف بينهما، لكن توجد بعض المؤشرات إلى شيء من التنافس بينهما" (ناصر ب.، 2018، ص119)، وهذا راجع كما يبدو إلى أنّ الصّلاحيات بين العزّابة والعوام قُسِّمَت بشكل دقيق، ومع ذلك إذا وقع خلاف بسيط كان للعزّابة المرجعية الأولى لسلطة المدينة، فإذا صدر حكمهم ينفّذ العوام ما تقرّر. (ناصر ب.، 2018، ص75)، وبمرور الزّمن أصبحت أمور المزابين تنتظم ضمن مجلس العزابة والعشيرة «العوام» والمكاريس «أيمسوردان»[19]" (مجموعة من المؤلفين، معجم مصطلحات (أ- ش)، 2011، ص 53-54) (معمر، الإباضية بين الفرق، 2003، ص399).

إن المكانة الأساسية التّي فرضتها العزابة يدعونا إلى التّساؤل عن مدى قدرة نفاذها في المجتمع المزابي داخليا وامتدادها خارجيا (عوادي، 2018، ص194)، وكيف استطاعت بوصفها هيئة علمية أن تفرض سلطتها كمرجعية بعد أن احتوت سلطة قبلية اجتماعية عتيدة[20]؛ ومن الضّروري للإجابة على هذه الأسئلة أن نعرف كيف تمكّنت الإباضية كمذهب ديني أن يتشكّل في تنظيم سسيو – سياسي يخوّل له ضبط علاقات مزاب الدّاخلية والخارجية، ومن ثمّ القيام بتحليل المنظومة القيمية التّي اعتمدها في ضبط أعضاء الجماعة التّي يشرف عليها.

02- العقيدة الإباضية وآليات ضبط التّنظيم

سيتم التّطرق في هذا الفصل لكيفية تمكّن العقيدة الإباضية من خلال قيمها في وضع وإرساء القواعد التّي يقوم عليها التنظيم الذي يجمع الإباضيين.

2-1 العقيدة الإباضية في الهيكل التنظيمي الاجتماعي

يعتبر النّظام الدّيني في المجتمعات الاباضية بشمال إفريقيا محور الحياة الاجتماعية، ويدخل في تشكيل الأيديولوجية التّي تدفع السّياسات الاجتماعية (ملتقى الباحثين السياسيين العرب، 2020) للحفاظ على الوضع الاجتماعي القائم منسجمًا ومتماسكًا (ألتوسري، 2015، ص08)، ويعتمد النّظام الدّيني في علاقته مع التّنظيمات المهيكلة للجماعة الإباضية في مزاب على منظومة من المعايير والقيم والمبادئ، حيث ستشّكل هذه المعايير والقيم والمبادئ أساسات وقواعد هذه التّنظيمات في بنيتها الخارجية من أجل أن تحافظ على استقرارها وثباتها في الأوضاع المتقلبة، كما تساعدها في ضبط الحركة الدّاخلية للتنظيم بما يحفظ اتّزان الجماعة وتماسكها ما يضمن لها الاستمرار والبقاء، لذلك لفهم طبيعة عمل التنظيمات والنّظم المختلفة في مزاب وجبّ النّظر إلى النّظام الدّيني نفسه (تغلات، 2014، ص78) الذّي يشكّل أساسها وقاعدة انطلاقها، وكيف يعمل كمحرك جوهري في دينامية الجماعة الإباضية والتّفاعل بين أعضائها؟

2-1-1 القواعد الضابطة لحركة التنظيم الخارجية:

المرونة:

منذ ظهور الإباضية في البصرة ونتيجة لآرائهم الفكرية والعقدية ونظرتهم إلى الحُكم فقد زُجَّ بهم ضمن صفوف المعارضة في أغلب مواقفهم السّياسية، ما جعلهم عرضة للملاحقة والاضطهاد بشتّى أنواعه وصوره، هذه الوضعيّة لازمتهم طيلة قرون، وفي كلّ أماكن تواجدهم وانتشارهم، ممّا تحتّم عليهم التّكيف مع مختلف الأوضاع والتعاطي مع كلّ الظّروف، وبمرور الزّمن ونتيجة للخبرات المتراكمة في مواجهة هذه التقلّبات اكتسب تنظيم الإباضية المرونة اللاّزمة في التّعامل مع مختلف الأوضاع ومستجدّاتها بغية حفظ كيانهم من الذّوبان والإندثار؛ وتظهر فعالية هذه المرونة في قدرتها على تحديد الثّابت والمتغّير من قيم العقيدة الإباضية، وعلى ضوء هذا التّحديد يتمّ وضع القواعد الأساسية التّي تُبْنَى عليها مختلف التّنظيمات التّي تسيّر جماعتهم، ومن نتاج ذلك نجد أن تنظيم الإمامات (نظام الحكم والتّسيير) عندهم يكون استجابة لحالة الإباضية وواقعهم، كما أن مواقفهم السّياسية مع مخالفيهم تتحدّد بما يخدم مصالحهم، حيث قد يبرمون اتفاقات ويعقدون تصالحات التّي من شأنها أن تحافظ على تنظيم الجماعة الإباضية.

ضمان مسافة الأمان:

تهتم هذه القاعدة أساسا بتحديد العلاقات مع مختلف نظم الحكم القائمة[21] (معمر، الإباضية بين الفرق، 2003، ص228) أو مع التنظيمات السّياسية والدّينية الأخرى، حيث تعمل على إبقاء التنظيم الذي يجمع الإباضية في معزل عن التأثيرات الخارجية المحيطة، والتّي عادة ما تكون مضطربة، ولكي تحافظ على مسافة أمانها تنتهج عدة أساليب تتناسب مع واقعها، فالوضع المهدّد لوجودهم يدفعهم إلى التّستر والتخفّي عن الأنظار في الكهوف والغيران (مزهودي، 1996، ص27) كما كانت عليه مدرسة "أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة"[22] بالبصرة (مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام – المشرق، 2006، ص 445)، أو بالانتشار في الصّحراء كما كانت عليه حلقة العزابة عند تأسيسها، ومنها اشتقت التّسمية والصّفة (مزهودي، 1996، ص13)، فكلا التّنظيمين وفي طريقة حفاظهما على المذهب اتخذا من التّعليم وسيلة لنشره، ومن التّستر والعزلة كأسلوب للأمان من الاضطهاد المسلّط عليهم (ناصر م.،2007، ص129)، وقد يلجؤون لمصالحة السّلطة[23] (كوبرلي، 2010، ص34) باعتماد سياسة التّفاهم والمهادنة والحوار لتفادى التّماس المباشر معها (اسماوي، العزابة 01، 2008، ص156)، حيث شكّل إبرام الاتفاقات والمعاهدات (الحاج سعيد، 2014، ص129) محور نشاط المزابين مع السّلطة العثمانية في الجزائر[24] ومع السّلطات الاستعمارية (بن عمر، 2015، ص25 و135)، أين يتمّ بموجبها تحديد المعالم الأساسية للعلاقات السّياسية بينهما بما يحفظ للمزابين استقلالهم الذّاتي والحريّة في تسيير أمورهم الدّاخلية.

كما لجأت قيادات ورموز المذهب لهذه القاعدة تجنبا لأي احتكاك معاد للسّـــلطة (خليفات، 2002، ص96) أو التّقرب إلى الأمراء والسّلاطين وقبول عطاياهم[25] (ناصر م.، 2007، ص129) ، وقد يرفضون تقلد مناصب سامية في الدّولة[26] ولو تمّ تكليفهم بذلك مخافة كشف أمرهم فتضعف الجماعة وتفقد تماسكها لفقدان الزّعيم الذي يجتمع حوله التنظيم (خليفات، 2002، ص97).

2-1-2 القواعد والمبادئ الضابطة للحركة الدّاخلية للتنظيم:

الشمولية والتكامل:

لا يقتصر اختلاف المذهب الإباضي عن بقية المذاهب الإسلامية في المسائل العقيدية والفقهية فقط، بل يتميّز أيضا في امتلاكه منظومة آراء مترابطة بين العقيدة والفقه والسّياسة والاجتماع والعمران (الفرسطائي، 1997)، والتداخل الموجود في التآليف الإباضية الأولى في موضوعاتها دليل على هذا التكامل والانسجام في وحدة الفكر الإباضي ما يجعله وحدة منسجمة (تغلات، 2014، ص25)، وهذا مكّنه من إنشاء دول وحضارات في مناطق مختلف من العالم الإسلامي[27] (ناصر م.، 2007) تحتوي على مؤسسات الدّولة الإسلامية بمفهومها الحديث (ابن يوسف، 1990).

ولما كان تنظيم العزّابة في بداية تأسيسها حلقة علمية تربوية لم يستطع الاستجابة لمتطلبات المجتمع المزابي إلاّ لما طوّره علماء أمثال الشيخ عمار عبد الكافي[28] (مجموعة من المؤلفين، معجم أعلام – المغرب، 2000، ص285) وعبد الرحمن أبو

زيد (خواجة، 2017، ص180) بإضافة الشّمولية في مبدئه، فاستطاع بذلك الإشراف على كلّ المجالات التّي تمس حياة الفرد المزابي الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية[29] (ناصر م.، 2007، ص284)؛ وبهذا انتقلت العزابة من حلقة للتّربية والتّعليم إلى نظام سلطوي يتولى تسيير شؤون المجتمع المزابي (ناصر م.، 2007، ص311)، رغم جهود الاستعمار الفرنسي في تقليص نفوده بعد احتلاله لمزاب سنة 1882م[30] (ناصر م.، 2007، ص315).

الولاية والبراءة:

إن مفهوم الولاية والبراءة مركزي في العقيدة الإباضي، ولئن انتشر هذا المفهوم وتوسّعت أصداؤه في الفكر الإسلامي عامة إلاّ أنّ الإباضية انفردت بالقول بولاية الشّخص وبراءته بحكم الظّاهر (تغلات، 2014، ص33)، كما أنّه لم ينحصر تناوله في نطاق الاجتهاد الفقهيّ والنّظر العقلي فحسب وإنّما تعدّاه إلى الميدان العملي والتّطبيق الفعلي، فتجسدت هذه الآراء والأحكام في واقع الحياة اليّومية داخل المجتمعات الإباضية (جهلان، 1992، ص58).

استطاعت العزابة أن تفرض سلطتها بتوظيف مبدأ الولاية والبراءة الشّخصية كأداة للرقابة الاجتماعية، وهناك من اعتبر أن تطبيق هذا المبدأ جاء في فترة الكتمان بديلا للعجز عن إقامة الحدود في إمامة الظّهور، فإن خافت الجماعة الإباضية خطرا لجأت إلى طريقة تنفيذية خاصة بها وهي الولاية والبراءة، فمن ارتكب جرما يستحقّ العقاب ينفّذ عليه هذا المبدأ، وذلك بالمرور بالشّكل التنفيذي لسلطة العزّابة من المستوى مادي إجرائي إلى مستوى معنوي خطير الأثر على الذّات المنتمي إلى مجموعة متميّزة تستمدّ هويتها منها وهو الهجران والمقاطعة (تغلات، 2014، ص80)، وبهذا المبدأ أيضا يكتسب مجلس العوام الشّرعية في تجسيد القرارات وتنفيذ العقوبات التّي تقرها العزابة، ممّا تحافظ العشيرة المشكّلة لمجلس العوام على وجودها ومكانتها كمؤسسة فاعلة في المجتمع المزابي.

03- العقيدة الإباضية وآليات ضبط أعضاء الجماعة

سيتم التّطرق في هذا الفصل لكيفية تمكّن العقيدة الإباضية من خلال قيمها في ضبط أعضاء الجماعة الإباضية.

3-1 القيم الضّبطية للعقيدة الإباضية:

أمدّت العقيدة الإباضية بفضل مفاهيمها منظومة قيم ينشأ عليها المجتمع المزابي ويحدّد معالم هويته العامة، حيث استطاعت هذه القيم أن تضبط سلوك الأفراد وأن تحدّد لهم المعالم الأساسية في مسارهم الاجتماعي (كوش، 2007، ص155) لتحقيق الأهداف التي تخدم الجماعة المزابية أينما وُجدت، ونذكر منها على سبيل المثال، ما يأتي:

قيمة العمل:

تشكّل هذه القيمة قدسية عالية في ثقافة المزابيين، انطلاقا من التساوي بين مراتب مقتضيات عقيدتهم، والمتمثلة في الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح (البهلاني، 2004، ص169)، وشروط صحتها لا يتمّ إلا باجتماع الثلاثة

معا، فأصبح من غير المقبول اجتماعيا أن يكون المزابي بطّالا وعاطلا عن العمل، وعدّ ذلك ضعفا في التزامه الديني وانتقاصا من كرامته ومكانته الاجتماعية.

القابلية للتّنظيم الذّاتي:

لوجوب الإمامة عند الإباضية فقد قلّ تواجدهم دون تنظيم يوحّد شملهم، ويجمع كلمتهم، فمنذ ظهور "القعدة"[31] (ناصر م.، 2003، ص30) والإباضية ينتقلون من إمامة لأخرى محاولين تجسيد مبدأهم العقدي واقعا وممارسة (خليفات، 2002، ص105)، هذا ما أكسبتهم "قابلية للتنظيم الذّاتي" في أي حال كانوا عليها، تعمل هذه القاعدة على ضبط الجماعة المزابية أينما كانت، حيث تلزمهم هيكلة أنفسهم ضمن تنظيمات متنوعة استجابة لحاجاتهم المعيشية، سواء العرفية كالعشيرة والمجالس العائلية وغيرهما، أو ضمن إطار المجتمع المدني كالكشافة والجمعيات الرّسمية، لذا قد نجدهم أكثر الجماعات حركية بفضل فعالية تنظيماتهم التّي تتميز بالانضباط في تسييرها والجدّية في ممارسة أنشطتها، وتدعّم شرعيةَ تواجدها وممارسة أنشطتها بالخدمات التّي تقدّمها للمصلحة العامة، ولو كانت مخصصة لفئة معينة.

وقد أدّت أزمات وطنية أو محلية كفيضانات غرداية 2008، وأحداث مزاب 2013 وأزمة فيروس كورونا 2020 وغيرها إلى خلق تنظيمات يرتكز نشاطها على العمل الميداني كتوزيع المساعدات وتقديم الارشادات في التّعامل مع الوضع، ويتّم غالبا بالتّنسيق مع السّلطات العرفية أو الرّسمية لضمان الفعالية وشرعية الممارسة والحصول على الدّعم اللازم.

لا ينحصر هذا المبدأ في مزاب حيث التّمركز الأكبر للمزابيين، فالمدن التّي يكون فيها الإباضية قليلي العدد بالنّسبة لاتباع المذاهب الأخرى فإنهم في معظم الأحيان يقيمون لأنفسهم تنظيما خاصّا يعرف باسم الجماعة (خليفات، النظم، 1982، ص31)، أين يتحتّم عليهم إذا بلغ عددهم أكثر من أربعين أسرة أن يقوموا ببناء مسجد وبجانبه مدرسة قرآنية ومكتبة للكتاب الإباضي ومقبرة خاصة بهم (خواجة، 2017، ص139)، وتقوم جماعة بتسييرها بالتنسيق مع "مجلس عمي سعيد" (مرموري، 2018) الهيئة العليا لعزابة مزاب، ويعدّ هذا من دعائم الحفاظ على وحدة وتماسك الجماعة خارج مزاب.

وجدير بالذّكر أن بعض الأنشطة الدّورية أو المناسباتية للتنظيمات الثقافية والفنّية والرّياضية والاقتصادية امتدّ إلى حيث انتشار المزابين على المستوى الوطني والدّولي، أين ساهم ذلك في إيجاد فرص لتبادل الخبرات الّثقافية والتّجارب الاجتماعية المختلفة، كما استطاعت الجماعة المزابية إيجاد قنوات للتواصل الفعال والمستمر مع أعضائها خارج حدود بيئاتهم ممّا مكنهم الحفاظ على خصائصهم الاجتماعية والثقافية.

04- نظام العزابة في العصر الحديث

سيتم التّطرق في هذا المطلب لمستجدات والتّغيرات التّي أحاطت بنظام العزابة في العصر الحديث، وأثر ذلك على النّظام في حد ذاته، وعلى المنتسبين له.

4-1 لماذا نظام العزابة مغاربي؟

كانت سياسة المذهب الإباضي ضمن صفوف المعارضة لنظرته إلى نظام الحكم أنّه يقوم على مبدأ الشورى «الدّيموقراطية» (جهلان، 1992، ص216)، وعدم تمكنه من الاستمرار في الحكم بشمال إفريقيا جعله يتخذ مسلك الكتمان نظاما للإمامة وفقا لمعتقدهم المذهبي، ونعتقد أنّه انقلب إلى نظام العزابة لما لم يجد في إمامة الكتمان ما يستجيب لوضع الإباضية الاستثنائي، حيث تداخلت عدة أسباب في اللجوء إلى هذا النّظام، منها أنّ خصائص التّنظيم الاجتماعي للبربر الإباضيين كان يتّمتع بنوع من الحريّة والاستقلالية بفضل نظامه القبلي، وإمامة الكتمان مرحلية وتتطلب التستّر والتّخفي، لذا كان تنظيم العزابة أكثر استجابة لوضعية الإباضية، حيث استغل التنظيم الحرية في الّتنقل من أجل تفقد أحوال الإباضيين، كما أنه استطاع أن يأخذ من الكتمان آليات بقاء واستمرار الجماعة في ظلّ الظروف المتقلبة والمضطربة.

على الرّغم أنّ المصادر التاريخية تشير إلى أسبقية تواجد نظام العزابة بجبل نفوسة «ليبيا» وجزيرة جربة «تونس» ثمّ بمزاب، إلاّ أنه لم يستمر في هذه المناطق إلاّ في مزاب، ما يدعونا إلى البحث عن الأسباب، وهذا يتطلّب بحثا مستقلا بذاته، وذلك بالتّتبع التاريخي لسيرورة المذهب الإباضي في كل منطقة من شمال إفريقيا، إضافة إلى المقارنة بين الخصائص الاجتماعية والثّقافية للمناطق التّي انتشر فيها.

كما أن هذه المصادر توضّح إلى أن زوال نظام العزابة من جبل نفوسة وجزيرة جربة كان في عهد الدّولة الوطنية ممّا يفتح المجال واسعا في البحث عن العلاقة بين تنظيم عزابة هذه المناطق والدّولة الوطنية، فمن هنا يمكننا أن نعتقد أن دراسة طبيعة العلاقة السّياسية بين نظام العزابة والدولة الوطنية في شمال إفريقيا سيمكننا من معرفة سبب زوال تنظيم حلقة العزابة منها أو استمراره فيها.

4-2 عزابة مزاب والدّولة الوطنية ... تجربة جديدة

حقّق مبدأ مسافة الأمان بين الإباضية ومختلف التنظيمات المحيطة بها استقلالية ذاتية في تسيير أمورهم الدّاخلية، ولكن للظروف التّاريخية في العقود الأخيرة كان لدخول عزابة مزاب تحت ظلّ سلطة دولة وطنية أثر كبير في تضييق لهذه المسافة[32] (المرموري، 2010)، ما أفرز لهم إشكالات داخلية وخارجية جديدة لم يكونوا على عهد بها، فمنذ استقلال الجزائر سنة 1962م ونظام العزابة تعترضه تحديات كبيرة في ضبط المجتمع المزابي وفق معتقداته المذهبية وتجاربه الاجتماعية، والتّي كانت صمّام أمان يحقق له الوحدة والتّماسك ويحفظ خصوصياته، وتتجلى هذه الإشكالات في مجالات عدّة، منها:

مؤسسات الضبط والتنشئة:

احتكار الدّولة الوطنية الحديثة بعض الوظائف المشابهة لوظائف التّي تشرف عليها حلقة العزّابة كالأمن والقضاء والتّعليم الإلزامي وممارسة الشّعائر التّعبدية والتّي عن طريقها تبسط سيطرتها سيجعلها في وضعية حرجة لما لها من أثر كبير

في صياغة الجانب التّنفيذي في المجتمع، لذا استغلّ الخطاب الرّسمي الاجتماعي في مزاب كل طريقة ومناسبة ليدعو إلى التّمسك بالمؤسسات الاجتماعية العرفية التّي تشترك بوظائفها مع الدّولة الوطنية، وذلك بدعمها ماديا ومعنويا، والدّعوة لتطورها لتواكب العصر وتستجيب لتحديات الواقع المتغير باستمرار، والتّركيز على الدّور الاجتماعي المنوط بها في الحفاظ على تماسك الجماعة، وتستند في ذلك كلّه على المعتقد الدّيني الذي تعتبره أقوى خطاب يلقى قبولا واستجابة في المجتمع (عبد النور، 2014، ص361).

الانعزالية والإنغلاقية:

شكلت الانعزالية التّي أملتها الأحداث والظّروف التّاريخية عنصرا محدّدا للهوّية المزابية، حيث ترسّخ هذا المفهوم في المخيال الاجتماعي للمجتمع المزابي في الدّولة الوطنيّة، كما استطاع التّمظهر في كثير من المواقف الحياتية للمزابيين، حيث يلاحظ عزوف كثير من المزابيين تقلّد مناصب حكومية سامية، أو تولّي وظائف عمومية، مقارنة بالقطاع الخاص كالتّجارة والتّعليم والمهن الحرّة[33]، ويتعدّى ذلك إلى الاستغناء أحيانا عن خدمات أجهزة الدّولة ووكالاتها، كالعدالة والتضامن والتأمين وغيرها، أما على المستوى التنظيم الاجتماعي والثّقافي فالأمر يتجلّى بوضوح أكثر، حيث جلّ هذه التنظيمات ذي طابع عرفي، ما يحرمهم من الحقوق والامتيازات التّي تمنحها الدّولة للتنظيمات الرّسمية.

وفي التّشكيل السّياسي ضمن الاستحقاقات الانتخابية أو التمثيل البرلماني فإنهم يسارعون إلى بناء كيانات مستقلة تتجلى في قوائم حرة، وقد استلهموا الفكرة من الموروث الحضاري عبر القرون سواء من حيث المنطلقات والغايات الدينية أو من حيث المرجعيات التاريخية، أو من أولئك الأعلام في مراحل التكوين والممارسة السياسية (بن عمر، 2015، ص500).

ولكن لا يمكن الإغفال أن اشتغال مزابيين في مختلف مستويات القطاع العمومي كالصّحة والتّعليم والإدراة والجيش بإرادة حرة أو توجيه من جمعيات ومثقفين فاعلين من خلال تقديم التسهيلات والإرشادات اللّازمة، أو حتى انخراطهم في أحزاب سياسية على المستوى الوطني سيمكنهم من خلالها خدمة المصلحة الخاصة للجماعة المزابية[34] ودون إضرار بالمصلحة العامة للوطن.

النمط العمراني:

يحمل النّمط العمراني دلالة خاصة نابعة من تفاعل الإنسان مع بيئته ومحيطه، وتُسهم معتقدات الإنسان في هندسته وتطويره، والمتأمل للهندسة المعمارية لقصور مزاب يجد أن المسجد يتربّع على قمّة هرم القصر، إن لهذه الهندسة تعبيرا ماديّا عن الإرتباط المتلاحم بين المسجد الذّي هو رمز الشّريعة الإسلامية وبين السّكان الذّين يعترفون للمسجد الذّي يدير دفّة أمورهم في جميع مناحي الحياة وفق تعاليم الدّين الإسلامي (ناصر م.، حلقة العزابة، 1989، ص05)، كما أن هندسة قصور مزاب تقوم على قاعدة الانغلاق نحو الدّاخل حيث يحيط بالمدينة (القصر) سور متين تتخلله أبراج للمراقبة والهدف

من هذا وقاية المدينة من هجمات الأعداء (بسيس، 1992) والعوامل الطبيعية القاسية، كما أنّ بيوتهم أخذت نفس المبدأ حيث نجدها منغلقة نحو الدّاخل مما يضمن لساكن الدّار السترة اللازمة ويكفل لهم حرية التنقل والحركة داخله، ورغم أن هذا المبدأ تشترك فيه كثير من المدن الصحراوية إلا أنّ البيت المزابي مازال يحتفظ بالقيم الأساسية في هندسته الاجتماعية والثقافية، حيث أنه يراعي التّقسيم المجالي بين الذّكور والإناث في فضاءات البيت (نصرالدين، 2016، ص150).

05- العزابة والمرحلة الانتقالية:

بعد تتبعنا للمبادئ العقدية في عند الإباضية نجد أن نظام العزابة يشكّل الوجه السّياسي للمذهب، ويعتبر بديلا لإمامة الكتمان لكون شروط الأخيرة لا تستجيب لواقع الإباضية آن ذاك، كما ذهب إليه بعض الدّارسين والنّقاد (المرموري، 2010)[35]، ولكن القلق الذي يعيشه نظام العزابة اليوم في الدّولة الوطنية شبيه بالذي عاشه نظام الكتمان قبل تأسيس العزابة، لذا هل يرتقب إباضية مزاب الآن ولادة تنظيم جديد يستجيب للتحدّيات المتسارعة في علاقتهم بسياسات الدّولة الوطنية، أو في مواجهته لأيدولوجيات العولمة ووسائلها، كلا المستويين له تداعيات داخلية متداخلة مع المجال الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسّياسي للمنطقة، فرضت ردود أفعال داخلية متناقضة ومتباينة خاصة بين المثقفين وصناع القرار، بين داع إلى تطوير النّظام ليواكب مستجدات الواقع وتطلعات الجماعة باعتباره يشكل صمام أمان للهوية المزابية ومنشأ تمايزها، وإلى رافض له كلية تحت تأثير تيار الوطنية (خواجة، 2017، ص131) لاعتبار أن واقع المزابيين أعقد من أن يتحمّله هذا النّظام العرفي ولو تمّ تطويره، والدّولة تتكفل بكل الوظائف، ويظهر طرف ثالث يؤكّد على استقلالية نظام العزابة في إشرافه على الجانب التّعبدي فقط، ذلك للأهمية التي تكتسبها المنظومة القيمية الدينية بجانها الأخلاقي في الحفاظ على التّماسك الاجتماعي والمعبّر عنه من خلال الوعي الاجتماعي السائد، إضافة إلى أن الإشراف على المهام التّعبدية في المجتمع كالإمامة للصّلاة والآذان والإفتاء وغسل الأموات والتّعليم الدّيني والقرآني **(cherifi, 2015, p. 296)**، (عبد النور، 2014، ص361)، كفيل بأن يضمن سلطة العزابة للمجتمع المزابي مادام يتوحّد على المرجعية الاباضية كقاعدة دينية (فيليب، 2008، ص22)، مع ما يفرضه الدّين عموما من القياد والإذعان على المستوى النّفسي، ويحمل الالتزام بالعقائد والسلوكيات المرتبطة بالمذهب على المستوى الاجتماعي (السمالوطي، 1981، ص18)، على أن يترك لمجلس العوام "الأعيان" والمجتمع المدني الإشراف على المجالات الأخرى كما كان عليه الأمر من قبل في تقسيم السّلطة بين العزابة والعوام.

خلاصة:

يسعى المذهب الإباضي في كل مراحله التّاريخية للحفاظ على تماسك الجماعة الإباضية ووحدتها، وسخّر في ذلك منظومة عقائدية متينة، وتتجلى متانتها في تكاملها وانسجامها الذّاتي، وتمظهرت هذه المنظومة في أطر مؤسساتية تنتظم خلالها الجماعة وتمارس أنشطتها، وقد مكنتها مرونتها شديدة مع خبراتها المتراكمة في التأقلم مع المستجدات المحيطة وتقلبات الواقع، حيث استطاع بذلك إباضية مزاب أن يحافظ على قوة الجماعة داخل مزاب وتضامنها خارجه، بفضل تنظيم العزابة المستمد من روح العقيدة الإباضية، ولكن قد يكون من السابق لأوانه التنبؤ حاليا بمستقبل ومآل نظام العزابة في مزاب بالنّظر إلى حال النّظام عند إباضية جربة بتونس وجبل نفوسة بليبيا الذّين انقرضا منه منذ عقود بفعل عوامل داخلية متعلقة بالتّركيبة الاجتماعية والثقافية والسّيرورة التاريخية للمنطقة، إضافة إلى سياسة السّلطة المركزية السّابقة التّي كانت لها اليد الطولى في زوال هذا النّظام، مع محاولات لاسترجاعه إثر المستجدات السّياسية الجديدة في البلدين، لذا وبالنّظر إلى القلق الذّي يعيشه نظام العزابة في مزاب النّاجم عن الغموض في محاولة فهمه للواقع والتعامل معه بما يضمن سلامة النّظام فأنّه يحاول في كلّ مرّة أن يبحث عن آليات جديدة تفكّ من أسره وتزيل عنه الغموض، فهل تسعفه العقيدة الإباضية بحلول توافقية مع واقعه المضطرب، أم تعمل على تمكين الجماعة الإباضية بمبادئ تأسيسية لنظام جديد تتنظم فيه الجماعة المزابية؛ فظهور نظام العزابة احتاج لأزيد من قرنين ليكون بديلا عن إمامة "الكتمان" وقرنين آخرين ليمارس سلطته في مزاب، وما استقلال الجزائر ببعيد، ترقّب جواب قريب من الصّعوبة بمكان لما يكتنف الوضع الرّاهن في مزاب والجزائر عموما من ضبابية نتيجة تقلبات ومستجدّات مستمرة وسريعة يصعب معها التكهّن في ظلّ ضعف التّحكم في آليات القراءة الجادة للواقع؛ ومن هنا يمكننا أن نطرح سؤالا آخر محصلة لما ذكر، وفتحا لما سيأتي: كيف يمكن للإباضية أن يستمر ويتجدّد فكريا، ويجسّد ذلك واقعيا؟

وفي الأخير لا يمكننا في هذا المقال أن نحيط بكل أطراف الموضوع لشساعته وارتباطه بكثير من المجالات والتخصّصات، وتجنّبنا التفصيل في كل حيثياته مخافة الاستطراد اعتمدنا الاقتصار والاختصار قدر المستطاع، فموضوع العزابة والإباضية رغم ما كتب فيه وقيل عنه يحتاج مزيدا من البحث والتّقصي من جوانب جديدة وزوايا مختلفة، لكونه يمثل استضاحا لحقبة زمنية غنية بالأحداث التّي يقيت تداعياتها إلى اليوم، وكذلك لتسليط الضوء على جماعة ما فتئت تصنع الأحداث وتفرض مكانتها على الساحة الثقافية والاجتماعية والسياسية في مجال محيطها الجغرافي وحقبها الزمانية.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

1. ابن يوسف، إبراهيم. (28-1990/05/29). *الفكر العمراني الحديث .العمارة والعمران الإباضي في واد مزاب*. جمعية الاستقامة، العالية، الجزائر.

2. اسماوي، صالح بن عمر.(2008). *العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب*. (ط01. ج01). الجزائر: مطبعة الفنون الجميلة.

3. اسماوي، صالح بن عمر.(2008). *العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بمزاب*. (ط01. ج02). الجزائر: مطبعة الفنون الجميلة.

4. ألتوسري، ل .(2015) .ماهي الأيديولوجية؟. ترجمة: سبيلا. ب. ع. عبد السلام. *الأيدلوجيا*.(ع08). ص ص 08-10.

5. بحاز، إبراهيم بن بكير. (1985). *الدولة الرستمية 160 - 296هـ / 777- 909م، دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية*. (ط01). الجزائر: مطبعة لافوميك.

6. بسيس، قاسم بن الحاج سعيد. (28-1990/05/29). تاريخ بني مزاب. *العمارة والعمران في واد مزاب*. جمعية الاستقامة، العالية - الجزائر.

7. بسيس، نصرالدين .(2016) .القيم الثقافية والاجتماعية للأسرة في الفيلم المزابي، تحليل محتوى فيلم "تدارت لعيال -" رسالة ماستر - غير منشورة .بوزريعة، الجزائر: جامعة الجزائر 02 - أبو القاسم سعد الله.

8. بن عمر، حاج موسى .(2015) *مزاب وقضايا الوطن والأمة*. (ط01). الجزائر: وزارة الشؤون الدّينية والأوقاف.

9. البهلاني، ن. ب .(2004) .*العقيدة الوهبية*. (ط01). سلطنة عمان: مكتبة مسقط.

10. بو طالب، ن. م .(2002) .*سسيولوجية القبيلة في الوطن العربي. (ط01)*.بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

11. تغلات، زهير. (2014). *الفكر السياسي الإباضي من خلال مؤلفات جابر بن زيد وسالم بن ذكوان الهلالي، والبرادي، والشماخي* .تونس: الدار التونسية للكتاب.

12. جهلان، عدون .(1992) .*الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد اطفيش، 1236 – 1332 هـ / 1818 – 1914م*. الجزائر: جمعية التراث.

13.الحاج سعيد، بكير. (2014) . *تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية*. (ط04).غرداية: المطبعة العربية.

14.حسن، س. ع .(2003) .النظام الاجتماعي من منظور بنائي وظيفي .*مجلة جامعة دمشق،19* ،.303 .p

15.خليفات، عوض محمد .(1982) .*النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقية في مرحلة الكتمان*. (ط01) . عمان: شركة المطابع النموذجية.

16.خليفات، عوض محمد .(2002) .*نشأة الحركة الإباضية* .(.ed 01)مسقط – سلطنة عمان: المطابع الذّهبية.

17.خواجة، عبد العزيز .(2017) .*الضبط الاجتماعي ومعوقاته في المجتمعات التقليدية، نظام العزابة في واد مزاب (الجزائر) أنموذجا – دراسة أنثربولوجية* .ألمانيا: نور للنشر.

18.السمالوطي، ن. م .(1981) .*الدّين والبناء الاجتماعي. (ج01)* جدة، المملكة العربية السعودية: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.

19.الصبيحي، م. أ .(2018) .*الإباضية في التراث الإسلامي، دعاة لا بغاة* .قسنطينة، الجزائر: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع.

20.عبد النور، محمد .(2014) .*المخيال وإعادة إنتاج الرموز الاجتماعية، دراسة حالة المجتمع المزابي من خلال مؤسسات التعليم الديني* –أطروحة دكتراه. غير منشورة، جامعة الجزائر 02 – أبو القاسم سعد الله . بوزريعة، الجزائر.

21.عوادي، ع. (2018). قراءة تاريخية في الحضور الإباضي المزابي في الجزائر ودورة في تثبيت دعائم الشخصية الوطنية والهوية الإسلامية. *مجلة الحياة*. (ع23). نشر جمعية التراث، ص ص 194-219.

22.الفرسطائي، أبو العباس. (1997). *القسمة وأصول الأرضين في فقه العمارة الإسلامية. (ط02)*. نشر جمعية التراث. غرداية، الجزائر: المطبعة العربية.

23.فيليب، ر .(2008) .*سسيولوجيا التواصل السياسي*. (ط01). ترجمة: خليل أحمد خليل. لبنان: دار الفرابي.

24.كعباش، ر .(2006) .*علم اجتماع التنظيم*) .م. ع. والترجمة، (.Ed قسنطينة، الجزائر.CIRTA COPY :

25.كوبرلي، ب .(2010) .*مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، بحث مقارن في العقيدة الإباضية في بلاد المغرب وعمان. (ط01)* . ترجمة: ع. الجلاصي. السيب، سلطنة عمان: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع.

26.كوش، د .(2007) .*مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية*. (ط01). المنظمة العربية للترجمة. ترجمة: م. السعيداني. بيروت، لبنان: مركز دراسات للوحدة العربية.

27.لواتي،و. (2016). سطوة العرف القبلي في الثقافة الإفريقية: فحص لأهم الأساطير التأسيسية. ج. أ. بلقايد. نشر: منيرفا.(02)02. ص65-79.

28.مجموعة من المؤلفين. (2006). *معجم أعلام الإباضية: من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي*. (ط02. ج02). نشر جمعية التّراث، بيروت، لبنان: دارالغرب الإسلامي.

29.مجموعة من المؤلفين .(2006) .*معجم أعلام الإباضية: من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المشرق*. (ط01). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

30.مجموعة من المؤلفين .(2011) .*معجم المصطلحات الإباضية (ص – ي)*. (ط02. ج02). سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدّينية.

31.مجموعة من المؤلفين .(2011) .*معجم مصطحات الإباضية (أ – ش)*. (ط02. ج02). سلطنة عمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدّينية.

32.مرموري، بشير. (2018) . الجماعة ودورها في التماسك الاجتماعي – نموذج العشيرة في المجتمع المزابي. *مجلة الحياة*. (ع 24). نشر جمعية التّراث. ص ص *166-188*.

33.المرموري، الناصر بن محمد. (2010/05/13). مسالك الدين عند الإباضية. العالية، الجزائر.

34.مزهودي، م .(1996) .*سير أبي عمار عبد الكافي (ت06هـ/12م* .(.ed 01) (سلطنة عمان: مكتبة الضامري.

35.مطياز، إبراهيم. (ب.ت). *تاريخ بين مزاب* .مخطوط.

36.معمر، علي يحي .(2003) .*الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث*. (ط03). نشر جمعية التراث، غرداية، الجزائر: المطبعة العربية.

37.معمر، علي يحي .(2008) .*الإباضية في موكب التاريخ. (ط03)*. سيب، سلطنة عمان: مكتبة الضامري.

38.مفدي، كرياء. (2010). *أضواء على واد مزاب، ماضيه وحاضر*. الجزائر: مطبعة الفنون الجميلة.

39.ملتقى الباحثين السّياسيين العرب. (2020/03/26). *مفهوم السياسة الاجتماعية وماهيتها وكيفية صياغتها*. ملتقى الباحثين السياسيين العرب: http://arabprf.com/?p=2879

40. ناصر، باحمد. (2018). *النّظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة . فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين* .غرداية، الجزائر: جمعية التراث.

41. ناصر، محمد صالح. (1989). *حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، دراسة وصفية تحليلية للمجالس الدّينية* .الجزائر: جمعية التراث.

42. ناصر، محمد صالح. (2007). *منهج الدّعوة عند الإباضية*. (ط03). الجزائر: مكتبة الريام.

المراجع باللغة الأجنبية

43. Brahim، c. (2015). *le M'zab، Etudes d'antropologie historique et culturelle.* (Sédia، Ed.) alger.

44. Solieman، K. A. (1988). *M'zab community، Algeria، North Africa: Its planningand architectural aspects-past، present، and future*. (T. U. Arizona، Ed.) *the University Libraries*، pp. 05-136.

الهوامش

[1]. "الإمامة والخلافة والإمارة والرئاسة، عبارات مختلفة في اللفظ متفقة في المعنى العام، وهي رئاسة عامة في أمور الدّين والدّنيا لشخص، وهي خلافة الرّسول في إقامة الدّين وحفظ حوزة الملّة".

[2]. "قال الإباضية بفرضيّة الإمامة ودافعوا عنها ضدّ الخوارج، كانت هذه إحدى المسائل العقيديّة التّي انفصلوا فيها عن غلوّ الخوارج".

[3]. سقطت الدّولة الرستمية على يد عبد الله الشيعي داعية العبيديين، والتّي كان الإباضية المتواجدين في شمال إفريقيا يتحصّنون فيها.

[4]. يتمّ التمسك بالدين في خفاء والمحافظة عليه دون إعلان حتى لا يتسبب ذلك في زواله، والكتمان بهذا مرحلة يعيشها المجتمع في حال ضعفه وعدم قدته على إقامة إمامة، وعدم قدرته على مقاومة سلطة جائرة، لذا تتولى سلطة جماعية تسيير شؤون المجتمع.

[5]. إمامة الظهور أو الإمامة الكبرى، هي إحدى إمامات الأربع عند الإباضية وما يسمى بمسالك الدين، ويعتبر من أهمّ ما يميزهم في المجال السياسي، حيث يكون أمر المؤمنين فيها ظاهرا أين يستطيعون تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة الظالم ورد العدو.

[6]. هناك أسباب ودوافع أخرى في تأسيس نظام العزابة، وإن كان في مجملها للحفاظ على التواجد الإباضي.

[7]. فصيل بن أبي مسور يسجا بن يوجين اليهرساني «ت بين 420-440هـ /1029-1048م» من علماء جزيرة جربة بتونس ولد بمدينة نفوسة بليبيا، عالم فقيه، يعتبر صاحب الفكرة الأساسية لنشأة نظام العزّابة، ومن ثمّ سمي النّظام بـ "السيرة المسورية البكرية" نسبة إلى فصيل بن أبي مسور ومحمد بن بكر.

[8]. أحد أقطاب الإبَاضيّة في المغرب وأبرز المصلحين الدينيين والاجتماعي. ولد في: 345هـ / 956م – توفي: 440هـ / 1049م.

[9]. ربما يرجع سبب رفضه للطلب أن قوانين حلقته قد يثير البطش على الإباضية من قبل المناوئين لهم لكونهم في مرحلة كتمان.

[10]. "تينسلي" مدينة بالقرب من توقرت «واد ريغ» تعرف الآن باسم بلدة أعمر بالجنوب الجزائري.

[11]. تأسست العزابة في أصلها كحلقة للتربية والتعليم، ولكن اكتسبت نفوذها في المجتمع المزابي بمرور الزمن.

[12]. كان نظام العزابة تتويجا لجهود علماء سبقت اكتماله علي يد الفرسطائي، حيث كان أول مرة فكرا ثمّ سيرة ثمّ عرفا.

[13]. "مجلس العوام" هو مجلس يضمّ ممثلين من كل عشيرة في القصر، حيث يتولى جميع شؤونه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

[14]. مرّ تشكيل قرى واد مزاب بعدة مراحل تاريخية، منها اندثر لعوامل طبيعية أو لفتن داخلية أو لغارات خارجية، ومنها قائم إلى اليوم.

[15]. كان ذلك في مطلع القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي وعلى امتداد زمني طويل.

[16]. "تغير رأس هرم التنظيم الاجتماعي – السياسي لمدن مزاب من سلطة العرش والذي كان متشكلا من قبيلة واحدة – عشيرة لاحقا – إلى سلطة " جماعة المدينة"، وكان كل منها يشكّل "قصرا" أو مدينة".

[17]. رغم الاختلافات البسيطة بين نظم مدن مزاب، إلاّ أن لكل مدينة قانون خاص بها، ولا يحق التّدخل في القضايا الدّاخلية بينها.

[18]. مجلس واد مزاب: هو الهيئة التشريعية الأعلى بواد مزاب، يضم ممثّلين من كل قصر، ويشكّل محكمة استئناف في القضايا التّي ترفع إليه من مختلف المدن.

[19]. "ايمســـوردان": لفظ أمازيغي مزابي، اختلفت المصـــادر في نطقه، وهي هيئة اجتماعية أمنية عرفية في واد مزاب بالجزائر، مرتبطة بحلقة العزابة، ... تهتم بحراسة البلدة ليلا ونهارا وخدمة المصلحة العامة بخاصة وقت النوازل.

[20]. لم تحدّد المصادر التاريخية بدقة التحوّل الذي وقع بين سلطة العوام وسلطة العزابة بوادي مزاب.

[21]. الإباضـــية المغاربة عاشـــوا غير خاضـــعين لدولة إطلاقا منذ أواخر القرن الثالث الهجري، أو خاضـــعين لدولة لا تلتزم أحكام المذهب الإباضي يضيّقون صلاحيات الوُلاّة والقضاة تضييقا شديدا، ويتوسّعون في صلاحيات جماعة المسلمين وكبار العشيرة ونظام العزّابة توسعا شديدا، وهذا لا شكّ ناشئ من تأثّر الفقه بالسياسة.

[22]. أبي عبدية مســـلم بن أبي كريمة، والملقب بناشـــر المذهب، يعتبر من تابعي التابعين، وكبير تلامذة جابر بن زيد العماني إمام المذهب الإباضي، وخلفا له، أخذ العلم ممن أدرك من الصّحابة، ولازم كبار علماء البصرة والعراق والحجاز، وطّن نفسه على طلب العلم أربعين سنة ثمّ مكث بعد ذلك في التعليم أســتاذا أربعين ســنة أخرى، عرفت الإباضــية على يديه أكبر إنجازاتها في المشــرق والمغرب، مختلف في تاريخ وفاته، وقيل سنة 145هـ 762م.

[23]. "واصل جابر بن زيد سياسة المصالحة مع الخلفاء الأمويين التّي انتهجها عبد الله بن إباض"

[24]. أبرم المزابيون اتفاقات مع السـلطات العثمانية يقضـي بموجبها حماية ممتلكاتهم وقوافلهم التجارية التي كانت تنتقل في مختلف أنحاء شمال الجزائر وتونس والمغرب.

[25]. كان أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة عزوفا عن الدّنيا لا يحب التّقرب إلى الأمراء ولا أخذ أعطياتهم.

[26]. كان جابر بن زيد شديد الصّلة بكاتب الحجاج ومنكرا لجوره، وقد عرض عليه منصب القضاء فرفضه بالحيلة.

[27]. استطاع المذهب الإباضي أن يؤسس إمامات ودول في عمان واليمن والحجاز وليبيا والجزائر منها قائم إلى اليوم، وأغلبها زال.

[28]. عالم شهير من علماء عصر الازدهار العلمي بوارجلان (ت ق570هـــ / 1174م)، له مؤلفات عديدة منها "كتاب السير في نظام العزابة".

[29]. ما يعرف عن المزابيين امتهانهم للتجارة كمصـــدر رزق أســـاســـي، وفي التاريخ الإباضـــي نجد أن كثيرا من المناطق في العالم دخل إليها الإسلام دون سلاح بفضل التّجار الإباضيين، مثل الهند والصين وأندنوسيا وبعض دول شرق إفريقيا وغربها.

[30]. تدخّل الاستعمار الفرنسي في مزاب قلّص من سلطة العزابة والأعيان في للمجتمع، وساهم أيضا في زعزعة الاستقرار بالمنطقة.

[31]. يشكّل القعدة النواة الأولى للإباضية، وهم الذين تركوا مقارعة المسلمين بالسيف وعدم الرّد بالعنف بعد أن تمّ القضاء على اغلبيتهم في وقعة النهروان «38هـ» التي كانت بين على و "المحكّمة" الذين انشقوا عنه بعد معركة صفين «37هـ» «الخوارج».

[32]. "هناك من يعتبر أن الدّولة الجزائرية الحديثة إمامة إسلامية ما يسمح للإباضية بإقامة أمور الدّين".

[33]. العزوف لا يعني الخلو، إضافة إلى أن تدخّل عوامل «اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، دينية» قد تكون سببا في العزوف.

[34]. قمت بعدد من الحوارات مع بعض المزابيين الفاعلين في الأحزاب السياسية المشتغلة في الساحة الوطنية في مناسبات مختلفة أين أكّدوا على ضرورة الاستفادة من هذه الأحزاب لخدمة المزابيين، كما دعوا إلى الانخراط فيها من باب التكوين في الحس السياسي الوطني، وخدمة المصلحة العامة لمزاب.

[35]. هناك من يعتبر نظام العزابة هي اشتقاق لإمامة الكتمان عند الإباضية، إلا أن بعض العلماء والمؤرخين يعتبرونها إمامة خامسة.